# عصر المعادن في بلاد المغرب:حالة المعارف

د. عزيز طارق ساحد
أستاذ محاضر
معهد الآثار
جامعة الجزائر2

يطرح عصر المعادن[1] بما في ذلك النحاس والبرونز والحديد في بلاد المغرب عدة إشكاليات حول وجود الحدود الكرونولوجية، وقد اهتم العديد من الباحثين حول وضعيته الحضارية، فينسبه البعض إلى نهاية العصر الحجري الحديث إذ يعتبر تطوّر حضاري، وينسبه البعض الآخر إلى بداية فترة فجر التاريخ، لكن في كلتا الحالتين يصعب التمحيص والتدقيق فيهما. عرفت هذه الفترة منذ نهاية القرن التاسع عشر تسمية أخرى وهي الفترة الكالكوليتية والتي تعني الفترة النحاسية-الحجرية، ظهرت في أوروبا قبل فجر التاريخ أي مع نهاية عصور ما قبل التاريخ. وتتميّز هذه الفترة بظهور معدني البرونز والحديد لأول مرة، فيما أعتبر المختّصون عصر المعادن على أنه وجه ثقافي لمرحلة فجر التاريخ[2] .

تعتبر الأبحاث الخاصة بعصر المعادن في بلاد المغرب متأخّرة مقارنة بأبحاث أوروبا المتقدّمة، بحيث أنه لم يتعرّف عليه إلا في بداية سنوات الخمسينات. وقد أهتم الباحثون بإشكالية تحديد عصر المعادن في بلاد المغرب من خلال معطيات قليلة التي لا زالت إلى حد الآن تطرح إشكالا حول هذه البقايا الضئيلة، واعتمادا على المعطيات يمكن اعتبار عصر المعادن كمرحلة انتقالية بين العصر الحجري الحديث وفجر التاريخ حيث استعمل الإنسان الحجارة والنحاس في آن واحد.

مما لا ريب فيه أن معظم المعادن كانت تستعمل، وخاصة مادة البرونز قبل وخلال فترة بناء المعالم الجنائزية خاصة الجثى منها، لكن السؤال يبقى دائما مطروحا عن زمن ظهور صناعة المعادن في بلاد المغرب، ويشكّل إحدى الأسئلة الغامضة والمعقّدة لفترة فجر التاريخ.

لقد اختلفت وتضاربت آراء الباحثين لحل هذه الإشكالية ويرجع السبب في ذلك إلى قلّة المختصين في هذا المجال، ورجّح بعض الباحثين إلى النّقص الكبير في المواد الأولية، ويرجع السبب الرئيسي في ذلك إلى غياب الأدوات المعدنية في حين يتحدّث البعض الآخر عن توفّر مناجم المعادن التي كانت منتشرة بكثرة ببلاد المغرب والتي استغّلت في الفترة القديمة.

---

[1] **عصر المعادن**: يقصد بعصر اكتشاف المعادن العصر الذي يلي العصر الحجري الحديث، وقد اكتشف فيه الإنسان المعادن وتعرف على مختلف المعادن وطرق صهرها، وبدأ يستعملها كأدوات كأسلحة وللتقطيع في قضاء حوائجه اليومية.

[2] Camps G., 1992 - L'âge du bronze en Afrique du Nord: Etat de la question. Atti del 3° cnv. Di studi un milineo di relazione fra la sardegna e i paesi des Mediterraneo, pp: 527-549.

وقد وضّح G. Camps أهمية مادة القصدير في صناعة البرونز ذاكرا تواجدها بكثرة في منجم أولماس بالمغرب الأقصى، لكن دون تأكيد استغلاله في فترة ما قبل أو فجر التاريخ [3].

## 1- تعريف مصطلح "الكالكوليتي" :

تختلف تعريفات مصطلح "الكالكوليتي" من باحث لآخر لكنه تم اختيار التعريف الأوضح الذي ورد في قاموس ما قبل التاريخ، أصل الكلمة إغريقي الأصل متكوّنة من Khalkos وتعني النحاس وLithos وتعني الحجارة، وتمثّل فترة زمنية حضارية عرفت صناعة أدوات من الحجارة بإتقان وحكمة مثل الفؤيسات المصقولة والفؤوس الحجرية المصقولة إضافة إلى أدوات أخرى[4].

اعتبر الكثير من الباحثين ظهور المعادن في بلاد المغرب على أنه عبارة على ثورة تكنولوجية ساعدت على التطوّر الاجتماعي والاقتصادي. يأتي بعد ظهور النحاس معدن آخر وهو البرونز[5] الذي ما هو إلا تطوّر للمعادن وهذا خلال فترة زمنية قصيرة أثناء نهاية العصر الحجري الحديث.

## 2- إشكالية عصري البرونز والنحاس في بلاد المغرب:

يعدّ S. Gsell أوّل من اهتم بهذه الإشكالية إذ وضّح أن السكّان الأصليين لبلاد المغرب لم تكن لهم معرفة كبيرة ودراية في صناعة النحاس والبرونز، علما أن هذين المعدنين عرفا مع وصول الفينيقيين ابتداء من نهاية الألفية الثانية [6].

ويتّفق بعض الباحثين على ما روّجه S. Gsell حول هذا الموضوع ومن بينهم R. Vaufrey وG. Souville إلا أن بعض الباحثين لا يشاطرون هذا الرأي مثل L. Balout الذي حسب رأيه فإن عصر المعادن غير معروف في بلاد المغرب بل أن الأدوات المكتشفة مستوردة من أوروبا دون إعطاء أدلة واضحة [7].

أهتم G. Camps منذ أكثر من أربعين سنة بمسألة أصول عصر البرونز في بلاد المغرب مقدّما حوصلة هامة بشأن هذا الموضوع، ويعد مرجعه أساسي في مثل هذه الأبحاث[8]. وأتى بعد ذلك G. Souville وN. Lambert سنتي 1966م و1967م، في حين يبدو التطوّر في مجال فجر التاريخ راكد

---

[3] Camps G. 1992 a. – Bronze (Age du). E.B., cahier n° 11, Edisud, Aix-En-Provence. pp: 1620-1621.
[4] Leroi Gourhan A., 1988.- dictionnaire de la préhistoire. Edit. P.U.F., Paris, p. 216

[5] **البرونز:** هو خليط من النحاس والقصدير يضاف إليه أحيانا معادن أخرى مثل الفضة والرصاص لتزيد من لمعانه والقصدير بإضافته للنحاس يكسبه لونا أقل حمرة ويجعله أقل صلابة ورنينا.

[6] Gsell. S., 1929.- Histoire ancienne de l'Afrique du Nord. Edit. Hachette, Paris, t. V, p.212
[7] Balout L., 1955.- Préhistoire de l'Afrique du Nord. Essai de chronologie. Edit. A.M.G, Paris, p. 450.
[8] Camps G., 1961. - Aux origines de la Berbèrie. Monuments et rites funéraires protohistoriques. Edit. A.M.G. Paris, p. 445-457.

بسبب قلة الباحثين المهتمين بهذه الفترة. تؤكّد الأسلحة النحاسية والبرونزية التي عثر عليها في غرب بلاد المغرب على وجود عصر البرونز في هذا الجزء من بلاد المغرب.

ويبدو أن أصل عصر البرونز يعود ربّما إلى الحضارات الأيبيرية اعتماد على مرحلة انتقالية ريفية، أو أنه عبارة فقط عن توسّع للثقافات الأيبيرية أو أنه تطور محلي لعصر المعادن. وقد حاول G. Souville أن يبرهن من خلال أعماله على أن الحضارة الريفية محلية[9].

ورأى G. Camps أن بلاد المغرب ويخص بالذكر المغرب الأقصى وغرب الجزائر عرف علاقات حضارية مع الجزيرة الأيبيرية. هذا من خلال دراسته لفترة المعادن بتلك المنطقة [10]، رغم غياب العناصر الكافية فقد أكد كل من G. Camps و P. Cadenat على فكرة وجود عصري البرونز والنحاس في بلاد المغرب [11]، وعلينا أن نتقبّل فكرة محلية عصر المعادن، لكن يبقى هذا الطرح قائما ويحتاج إلى أبحاث دقيقة في المستقبل.

## 3- اللقى البرونزية والنحاسية في بلاد المغرب:

لا يفوق عدد الأسلحة المعدنية وغيرها عن الثلاثين أداة التي تم اكتشافها في بلاد المغرب خلال قرن ونصف قرن من البحث، لذا يصعب التحدّث عن عصر البرونز في بلاد المغرب، حيث تم اكتشاف هذه الأدوات المعدنية في ظروف غير مناسبة، حيث عثر على أغلبيتها إما على سطح الأرض أو عن طريق الصدفة.

وشكّلت أغلبية هذه الأدوات من الفؤوس ورؤوس السهام أو الرماح، في حين بقي عدد كبير لم يذكر ولم ينشر إليه، وقد أكّده G. Camps في رسالته بذكر بعض الأمثلة من الأدوات المعدنية المكتشفة في موقع هنشير غوبرش بتونس والتي لا نعرف عنها أي معلومة.

أما فيما يخص الأدوات المعدنية التي تم جمعها في المعالم الجنائزية خلال الحفريات، فيقول أنّها غالبا ما تكون أحدث عن زمن إقامة هذه المعالم، ولا يمكن مقارنتها مع أدوات عصر البرونز، مبرّرا تأويله على أساس تنميط ودراسة الأدوات النحاسية المكتشفة ومقارنتها بمثيلتها في أوروبا[12].

[9]Souville G., 1977.- La civilisation du vase campaniforme au Maroc. L'Anthrop., t. 81, pp : 561-577.

[10]Camps G., 1960. c. - Les traces d'un âge de bronze en Afrique du Nord. Alger, Rev. Afric, t. C.IV, pp: 34-35.
[11]Camps G. et Cadenat P., 1981. – Nouvelles données sur les débuts de l'âge des métaux en Afrique du Nord. B.S.E.R.P., Les Eyzies, n° 30, pp: 40-51.
[12]Camps G., 1961. – Aux origines de la Berbèrie. Monuments et rites funéraires protohistoriques. Edit. A.M.G. Paris, pp: 421-422.

## 4- الأسلحة البرونزية المكتشفة في الجزائر والمغرب الأقصى:

### الجزائر:

لقد تم التأكّد من خلال الأبحاث أن كل البقايا المعدنية تم اكتشافها ما بين منطقة الغرب الجزائري ومنطقة الجزائر (شكل رقم:1) وقد تم جردها على النحو التالي:

**موقع بولوغين**: يقع بالجزائر العاصمة ويعرف سابقا باسم سانت أوجين، تم العثور فيه على فأس من البرونز في حديقة منزل الدكتور Bourjot الذي قدّمها بدوره إلى السيد E. Pelagaud وعرضها في متحف الأنتروبولوجية بليون في فرنسا. فهي عبارة عن فأس ذو عقب وأرخ J. Dechelette هذه الأداة ببداية عصر البرونز المتوسط لأوروبا[13].

**موقع شرشال**: ذكر هذا الموقع من طرف S. Gsell وعثر فيه على فأس من البرونز، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الأداة لا أثر لها في المتاحف ولا عند الباحثين، وتبقى المعلومات عنها غير واضحة بشأن أصلها، ويحتمل أنه تم اكتشافها في سواحل الجزائر العاصمة[14].

**موقع شنوة**: يقع على بعد خمسة كلم شرق مدينة تيبازة، أكتشف فيه على خنجر من النحاس على شكل لسان تتراوح مقاساته ما بين 14,5 سم طولا و3,4 سم عرضا بينما يبدو سمكه رقيقا جدا بحيث لا يتجاوز 3 سم (شكل رقم: 2)[15].

**موقع الخروبة**: يقع هذا الموقع بالقرب من مستغانم، تم العثور فيه على أداتين متمايزتين تتمثلان في فأس ورأس، بالنسبة للفأس فهو ذات شكل مسطح وبقاطع محدّب حيث يبلغ طوله 9,1 سم وعرضه الأكبر عند القاعدة 1,7 سم. أما الأداة الثانية والمتمثلة في رأس سهم فهو من نمط (Palmella) يقدر طوله 10 سم وعرضه 1,8 سم، وحسب الوصف والصورة الواردة في المقال يبدو أنه شوّه عند أطرافه (شكل رقم: 3. 2 و1)[16].

**موقع ستيديا**066: يوجد هذا الموقع بالقرب من مدينة مستغانم، حيث تم الاكتشاف فيه على رأس في شكل نمط ذات حواف (Palmella)، يبلغ طوله 7,7 سم ذي حواف حادة (شكل رقم: 3. 3)[17].

**موقع عين طوريش**: يوجد موقع عين طوريش بالقرب من تيارت ونسبه P. Cadenat إلى العصر الحجري الحديث، عثر فيه على قضيب مسطح من الحديد ومن البرونز، يقدر سمكه 0,4 سم

[13] Souville G., 1956.- Atlas préhistorique de l'Algérie. Feuille n° 5 P, Libyca, Anthrop., Archéol. Préhist., t. IV, p. 236 (n° d'inventaire: 15).
[14]Gsell S., 1901.- Les Monuments antiques de l'Algérie. Edit. A. Fontemoing, Paris, t. I, p. 212.
[15]Camps G. et Giot P. R., 1960.- Un poignard chalcolithique au cap Chenoua. Libyca, Anthrop., Archéol. Préhist., t. VIII, p. 270
[16]Camps G .et Cadenat P., 1981.- Op. Cit., p. 48
[17]Ibid., p. 49

(شكل رقم: 4. 1)[18].

**موقع كروم (Serrero)** : يقع هذا الموقع في إحدى المزارع بالقرب من مدينة تيارت والمسماة بكروم Serrero، وأثناء عملية الحرث تم اكتشاف رأس سهم من البرونز ذو شكل مثلث وذو عنق صغير (شكل رقم: 4. 2)[19].

**موقع كلومناطة**: ويعرف هذا الموقع حاليا بمدينة سيدي الحسني بالقرب من تيارت، تم العثور بهذا الموقع على فأس ذي شكل مسطح في وسط أرض زراعية في حالة حفظ جيدة ، حيث تبلغ مقاساته 10,3 سم طولا ويبلغ العرض عند القاطع 4,8 سم وعند العقب 2,2 سم، أما سمكه فلا يفوق 0,5 سم ويقدر وزنه 98 غرام (شكل رقم: 5)[20].

**موقع لاموريسيار**: يعرف هذا الموقع اليوم تحت اسم أولاد ميمون ويوجد بالقرب من مدينة تلمسان، تم العثور فيه على فأس نحاسي كان مختلطا مع أدوات حجرية وبقايا عظمية داخل مغارة بدون محتوى أثري، تجدر الإشارة إلى أن هذا الفأس لم ترد عنه معلومات كافية ولا صورة توضيحية عنه في المراجع[21].

**موقع عين قدارة**: يوجد هذا الموقع بالقرب من مدينة وهران، عثر على ثلاث نصيلات من النحاس ضمن المستوى الأثري بجانب شقف فخارية تعود إلى العصر الحجري الحديث[22].

موقع عرق الراوي: يقع هذا الموقع في منطقة تبلبلة بالجنوب الغربي الوهراني حيث تم العثور بسطح الأرض على فأس صغير الحجم ذو شكل مسطح، كما تم العثور على رأس سهم مصنوع من مادة البرونز في نفس ظروف الاكتشاف[23].

موقع عرق الشاش: تم العثور في موقع عرق الشاش بمنطقة تبلبلة على جنجر من البرونز في ظروف غامضة[24].

[18]Cadenat P., 1980. - Objets de bronze protohistoriques recueillis dans la région de Tiaret (Algérie). B.S.E.R.P., Les Eyzies, n° 30, pp: 19-30.
[19]Cadenat P., 1961.- Découverte d'un objet en bronze prés de Tiaret (Algérie). B.S.P.F., t. LVIII, pp : 30-31.
[20] Cadenat P., 1956.- Découverte d'une hache de bronze dans la commune mixte de Tiaret. Libyca, Anthrop., Archéol. Préhist., t. IV, pp: 283-287.
[21] Cureyras P., 1886.- Les traces du passé à Lamoricière. B.S.G.A.O., t. VI, p. 127.
[22] Camps G., 1961.- Op. Cit., p. 449.
[23] Mauny R., 1951.- Un âge de cuivre au Sahara occidental. Bull. de l'IFAN, pp : 168-180.
[24] Ibid.

## 2.4- **المغرب الأقصى**:

تعد مواقع المغرب الأقصى من أهم المواقع من حيث النوع والعدد ويمكن ذكرها على النحو التالي (شكل رقم: 6):

**موقع بني سناسن** : يوجد هذا الموقع بالقرب من مدينة وجدة حيث تم العثور فيه على فأس من البرونز مثلثة الشك (« hache » pelte) موجودة على سطح الأرض حيث قدرت مقاساتها 28,8 سم × 18,2سم ومتوسط سمكه 0,5 سم ووزنه 1,11 كلغ.

**موقع لكاز**: يقع هذا الموقع بمنطقة أوكايمدن بالأطلس الكبير، حيث عثر فيه على ثلاث أدوات من النحاس عبارة عن شكل هلال وحلقتين بجوار أدوات حجرية بداخل ملجأ[25].

**موقع مغارة الحريقة**: يقع هذا الموقع بالقرب من مدينة وجدة، عثر فيه على رأس سهم من النحاس في الطبقات العلوية المختلطة[26].

**موقع وادي عكراش**: يوجد هذا الموقع بالقرب من مدينة الرباط حيث تم اكتشاف فأس ذي شكل مسطح من البرونز، وجد عن طريق الصدفة سنة 1945م من طرف السيد Blocher في سطح أرض ملكيته، يقدر طوله 15,5 سم وعرضه الأقصى عند القاعدة 1,7 سم ويقدر عرض القاطع 4,6 سم وسمكه يقدر 0,6 سم[27].

**موقع وادي لكوس**: يقع هذا الموقع بمنطقة لعراش، اكتشف فيه سيف كبير الحجم من البرونز، يقدر طوله 5,71 سم[28].

**موقع عين دهلية**: يوجد هذا الموقع بضواحي طنجة حيث عثر فيه على أداة من النحاس على شكل نوع بلميلا (Palmella ) في مدفن في سنة 1907م[29].

**موقع سيدي مسعود**: يقع هذا الموقع بمنطقة أزمور حيث تم اكتشاف رأس سهم من النحاس ومسطّح الشكل بدون محتوى أثري لكن حسب قول G. Camps فإنه افتقد بعد اكتشافه[30].

**موقع طزرين**: يقع هذا الموقع في منطقة الذراع حيث عثر فيه على رأس رمح من البرونز، وينسب G. Camps هذه الأداة إلى أصل أيبيري[31].

---

[25]Souville G., 1965.- Recherches sur l'existence d'un âge de bronze au Maroc. 6ème congr. U.I.S.P.P., Rome, 419-424

[26]Wengler L., 1963-64. – La grotte d'El Heriga (Maroc oriental). B.A.M., t. XV, pp : 81-90.

[27]Souville G., 1965.- Op. Cit., p. 424.

[28]Ponsich M., 1970. – Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région. C.N.R.S., Paris, p. 197.

[29]Saez Martin B., 1952.- Sobre una supuesta edad del bronze en Africa Menor y sahara. Act. Du 2 ème congr. Panaf. de préhist., Alger, p. 655.

[30]Camps G., 1961.- Op. Cit., p. 449.

[31]Camps G., 1960. a- Op. Cit., p. 113

**موقع كاف البارود**: يعد هذا الموقع من أهم مواقع فترة ما قبل التاريخ في المغرب الأقصى يوجد بمنطقة بني سليمان، وقد أسفرت الحفريات في هذه المغارة على نتائج هامة[32] وعلى إثر ذلك تم العثور على ثلاث أدوات من النحاس، تضم مخرزان طويلان، يفوق طولهما 15 سم، ووجدا في مستويين غير واضحين في حالة حفظ سيئة، أما الأداة الثالثة فتتمثل في فأس[33].

**موقع غار كحال**: تقع مغارة غار كحال بالقرب من منطقة سبتة، حيث عثر في المستوى العلوي على رأس سهم غير كامل من البرونز[34].

**موقع المريس**: يقع هذا الموقع بمنطقة طنجة، عثر فيه على بلطة من البرونز مستطيلة الشكل، حيث يبلغ طولها 10,5 سم وعرضها 5 سم، كما عثر على إبرة من نفس المادة في دولمان بالإضافة إلى رأس رمح من البرونز، طوله 13 سم وعرضه 2,5 سم[35].

**موقع عين السمان**: يتمثل موقع عين السمان في مغارة غير بعيدة عن مدينة فاس، حيث عثر بإحدى المستوى الطباقية غير المدققة والمختلطة على أدوات مختلفة، حجرية وعظمية وشقف فخار بالإضافة إلى حجارة مصقولة بالإضافة إلى رأس من نوع بلميلا (Palmella) يبلغ طوله 7,15 سم[36].

**موقع مجهول؟**: فأس معروض بمتحف تيطوان بالمغرب الأقصى، مصدره مجهول، وهو عبارة عن فأس من البرونز مسطح الشكل، يقدر طوله 11,4 سم وعرضه عند العقب 2,5 سم وعرضه عند القاطع 4 سم ويقدر وزنه 305 غرام[37].

### 3.4- <u>غياب اللقى البرونزية والنحاسية بتونس :</u>

تكاد الشواهد المعدنية تغيب في تونس وفي الجزء الشرقي الجزائري المعروفتان بالمعالم الجنائزية الكثيرة الانتشار، بالإضافة إلى التأثيرات الحضارية الفينيقية والرومانية. وبالرغم من افتقارها للأدوات المعدنية، إلا أن G. Camps ذكر أن بلاد المغرب عرفت خلال الألفية الثالثة والثانية قبل الميلاد نشاطا كبيرا حيث تطوّرت فيها التبادلات التجارية والعلاقات البحرية على طول السواحل الأطلسية وحتى عبر غرب وشرق حوض البحر المتوسط، خاصة التأثير الصقلي الذي يعرف بوجود الحوانيت والدولمان[38].

---

[32] رغم نتائج التأريخين لموقع موقع كاف البارود، والتي يقدّر الأول **4750 ±110 سنة ق. ح** والتأريخ الثاني أعطى **5160 ± 110 سنة ق ح**، تتناسب حسب رأي G. Camps مع عصر النحاس المغربي، غير أن الأدوات لا يمكن تأريخها لأنها وجدت خارج هذا الإطار الأثري المؤرخ.

[33] Camps G., 1987. a – L'Age du bronze en Afrique du Nord. Etat de la question. Atti de III ème Convegno di studi « un millenio di relazioni fra la Sardaigna e Paesi del Mediterraneo »,Salargius – Cagliari, p. 530

[34] Souville G., 1965.- Op. Cit., p. 419-424.

[35] Ibid.

[36] Bourhis J. R., 1983.- Résultats des analyses d'objets en cuivre, bronze, laiton et des résidus de métallurgie antique en Afrique. Métallurgie africaine, Nouvelle contribution, Mém. de la Soc. des afric., Paris, p. 131.

[37] Souville G., 1965. –Op. Cit., p. 420.

[38] Camps G., 1992a. – Op. Cit., p. 1616.

وتجدر الإشارة أن الفينيقيين عرفوا من دون شك معدن النحاس وحتى الحديد في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، وأثبتت آثار وجودهم على طول سواحل بلاد المغرب في نهاية القرن السابع وبداية القرن السادس قبل الميلاد، والتي تتناسب مع فترة الحديد الأولى في أوروبا، وكل ما نعرفه عن الأدوات النحاسية ما تم العثور عليه في بعض المعالم الجنائزية في بموقع الحكايمة بتونس التي تعود إلى فترة فجر التاريخ والفترة البونية[39].

## 5- تمثيلات الأدوات المعدنية في الفن الصخري:

رغم الافتقار الذي يعرفه بلاد المغرب للأدوات المعدنية إلا أنها ممثلة جيدا في الفن الصخري، الذي يمكن اعتباره شاهدا هاما لإثبات وجود عصر المعادن ببلاد المغرب، وقد نستخلصه من النقوش الصخرية الموجودة في الأطلس الصحراوي الجزائري والأطلس الكبير للمغرب الأقصى.

لقد تمكّن العديد من الباحثين أن يتعرفوا على هذه الأدوات المعدنية، ومنهم H. Lhote الذي استطاع أن يعرّف مناطق الأطلس الصحراوي وخاصة الجزء الجنوبي الغربي الوهراني (شكل رقم:7)[40].

ويعود الفضل الكبير في ذلك إلى الباحث J. Malhomme الذي قدّم تفصيلا هاما حول نقوش الأطلس الكبير بالمغرب الأقصى[41]، بالإضافة إلى باحثين آخرين اهتموا بهذا المجال وعلى رأسهم A. Simoneau الذي اهتم كثيرا بهذه التمثيلات، إذ كانت له اكتشافات عديدة في السفح الجنوبي للأطلس الكبير[42]، فسمحت هذه الاكتشافات للباحث R. Chenorkian القيام بأعمال بحث حول النقوش الصخرية للأطلس الكبير ومعرفة أهم تمثيلات الأسلحة، حيث استطاع من خلال دراسة البلطات والفؤوس والخناجر ورؤوس السهام والرماح أن يضع قوائم تنميطية مفصلة كما قارنها بمثيلتها في أوروبا مقدما تأريخات تتراوح ما بين الألفية الثانية والألفية الأولى قبل الميلاد (شكلا رقم: 8 و9)[43].

واعتمادا على هذه المعطيات سنحاول معرفة الأدوات المعدنية الأساسية الممثّلة في هذا الفن الصخري.

[39]Ben Younès H., 1986.- La nécropole punique d'El Hkayma, Reppal, t.II, pp : 31-172.
[40]Lhote H., 1970. – Op. Cit., 209 p.
[41]Malhomme J., 1959-1961.- Op. Cit., 159 p et 164 p.
[42]Simoneau A., 1967.- Les gravures rupestres du haut Atlas de Marrakech. Rev. Géograph. Du Maroc, Publ. Du Serv. des Antiq. Du Maroc, Rabat, n° 11, pp : 67-76.
[43]Chenorkian R., 1979. - Les représentations d'armes en métal dans l'art rupestre de la méditerranée occidentale. Thèse du 3 ème cycle, 3 vol., Aix–En- Provence, CNRS, Paris, pp : 161-169.

وقد سمحت دراسة هذه النقوش من التعرّف على عدة مجموعات معدنية منها: البلطات[44] والخناجر والفؤوس[45] والدروع[46] وغيرها.

وتعد تمثيلات البلطات من أهم التمثيلات في النقوش الصخرية بالأطلس الكبير في المغرب الأقصى حيث تشبه أشكال أسلحتها بتلك الأسلحة المعروفة بأوروبا[47]. ونجد بعض التمثيلات الهامة في الأطلس الصحراوي، والمتمثّل في شخص يحمل فأس ودرع بموقع قعدة خروبة والحرحارة بمنطقة أفلو (شكل رقم:10)[48].

كما وجدت نقوش أخرى تحدّث عنها الباحثون والتي تتمثل في مواضيع حلزونية بجبال أكفادو بمنطقة بجاية التي نسبت إلى عصر المعادن[49] .

## 6- مسألة الفخار الريفي الشكل في بلاد المغرب:

يعد هذا النوع من الفخار مؤشّرا هاما "للكالكوليتي" الذي يعرف من نوع القدح على شكل جرس[50] مقلوب منتشر في وسط وغرب أوروبا، خاصة في اسبانيا والجزر الأيبيرية ويتميّز هذا الفخار بزخرفة تتمثّل في شكل حزوز وطابع لمشط وشوكة، ويتفّق الباحثون على أن أصل هذا الفخار يعود إلى الجزر الأيبيرية [51].

عرف بلاد المغرب انتشارا هاما للفخار خلال العصر الحجري الحديث، حيث ظهر نوع هام يعرف باسم فخار الكرديال، والذي تم العثور عليه بموقع أشكار بغار كحال بالمغرب الأقصى وكذلك في بعض المواقع في الساحل الوهراني كموقع المارجاجو بالقرب من وهران[52].

أما فيما يخص مميزات هذا الفخار فهو يتشكّل من قاع مسطح رمادي وأسود أو أحمر، ويتم العثور عن هذا الفخار في كثير من الأحيان في المستويات العلوية للموقع مما يدفع الباحثين إلى عدم إعطائه الأهمية الكبرى واعتباره حديث العهد[53]. وربما يعود ندرة هذين النوعين من الفخار بالدرجة الأولى إلى النقص الفادح للأبحاث الأثرية وكذلك إلى ظروف استكشافاتها.

---

[44] **البلطة:** عبارة عن أداة مصنوعة من المعدن في شكل فأس ذات مقبض طويل تستخدم كسلاح حربي شكلت نهايته من شفرة كبيرة

[45] **الفأس:** عبارة عن أداة ذات شكل مثلث وشبة منحرف ومزود بقاطع حاد، وتختلف وظيفة الفأس من باحث لآخر، فاستعملت إما للحرب أو للدفاع عن النفس وحتى في الزراعة.

[46] **الدرع:** أداة تستعمل للحماية الشخصية في الحروب ولها أشكال مختلفة منها الدائرية والمربعة.

[47] Camps G., 1961.- Op. Cit., p. 451.

[48] Vaufrey R., 1939. – Op. Cit., pl. XLII.

[49] Troussel R., 1948.- Les pierres gravées d'Akfadou. R.N.M.S.A.C., t. LXVI, pp : 552-565.

[50] يجدر الإشارة أن باحثي ما قبل التاريخ في المغرب الأقصى يستعملون مصطلح الفخار الجرسي عوض الفخار الريفي الشكل.

[51] Leroi-Gourhan A., 1988.- Op. Cit., p. 180.

[52] Camps G., 1960 a.- Op. Cit., p. 32.

[53] Ibid., p. 1621.

وأشارت H. Camps-Fabrer إلى وجود شقف فخارية هامة مزخرفة من النوع الريفي الشكل بمغارة في منطقة سعيدة وعلى ضفاف وادي سعيدة [54]. ورغم قلة الأدلة الأثرية إلا وأن هذه الفترة أي الكالكوليتية يجب إعادة النظر فيها والبحث عنها مستقبلا.

وقد عثر على هذا الفخار الريفي الشكل منتشرا بكثرة في أوروبا، خاصة في اسبانيا (شكل رقم:11) واستطاع O. Lemercier من خلال أبحاثه أن يعرّفه من مختلف جوانبه مشيرا إلى وجوده في غرب بلاد المغرب ويؤرّخه بالألفية الثالثة قبل الميلاد، ويكثر انتشاره في اسبانيا باسم الفخار الريفي الشكل. كما يعرف في البرتغال تحت تسمية (calciforme) وفي فرنسا تحث تسمية (drinking cup) ثم (bell beaker) ثم تغيّرت هذه التسمية خلال منتصف القرن العشرين بتسمية الفخار الريفي الشكل[55].

## 7- مسألة عصر الحديد في بلاد المغرب:

يعد موضوع عصر الحديد ببلاد المغرب غامضا في مختلف جوانبه وكل ما يعرف عنه منقول S. Gsell الذي أكّد عدم معرفة أصل صناعة الحديد في بلاد المغرب[56]. ويفسّر أن الحديد تم جلبه من الخارج عبر مضيق جبل طارق وجزيرة بانطاليكا الايطالية وذلك نظرا للظروف المناخية السائدة في تلك الفترة التي تميّزت بالجفاف، وقد أثبت G. Camps أن بلاد المغرب عرف خلال تلك الفترة ظاهرتين هامتين أولهما مناخية تستشف منها جفاف الصحراء والأخرى تتجلى في ظهور الملاحة[57].

وقد أثار الباحثون مسألة أصل الحديد قي بلاد المغرب خلال فترة فجر التاريخ في العديد من المقالات دون تفسيرها، كما قدّمت عدة آراء متضاربة في تمثيله في الفن الصخري خاصة، غير أنّ هذه التأويلات انتقدها G. Camps وأكد على عدم قيامها على أسس علمية[58].

تتميّز بلاد المغرب بمناجم عديدة للحديد يقع أهمها في شمال تبسة والونزة وبوخضرة بالقرب من عنابة. كما توجد بكثرة في المغرب الأقصى خاصة مناجم كنفرة وآيت عمر بمنطقة وادي الزام. غير أن آثار المعادن غير معروفة قبل العصور التاريخية، فيما عدا ما عرف من الأدوات الحديدية المستخرجة من المعالم الجنائزية والتي تمثّلت في أسلحة وحلي ومن أبرزها معالم موقع بني مسوس.

يصعب تمييز عصر الحديد ببلاد المغرب رغم إدخال الحديد من طرف الفينيقيين، لكنه لم تتغير أنماط معيشة السكان المحليين لإظهار ثقافة خاصة.

---

[54] Camps-Fabrer H., 1966.- Matière et art mobilier dans la préhistoire nord-africaine et saharienne. Mém. du C.R.A.P.E, n° V, Edit. A.M.G., Paris, p. 495.

[55] Lemercier O., 2002.- La campaniforme dans le sud ouest de la France. De l'archéologie à l'histoire du troisième millénaire avant notre ère. Thèse de doctorat d'état, vol. 1, Aix en Provence, p. 21

[56] Gsell St., 1929.- Op. Cit., t. VI, p. 78.

[57] Camps G., 1961.- Op. Cit., p.29.

[58] Ibid, p. 457

وفي هذه الحالة يجب تعريف عصر الحديد مع الحضارة البونية والتي تتزامن مع الفترة الممتدة من القرن الثامن قبل الميلاد إلى غاية الاحتلال الروماني والتي تتناسب في أوروبا بالعصرين الأول والثاني للحديد[59].

تعد آثار التعدين قبل العصور التاريخية نادرة جدا، ومن أهم المعطيات تلك المتعلقة باكتشاف نصلة سكين كبيرة عثر عليها A. Debruge في موقع Pic des singes بالقرب من بجاية[60]. اكتشفت هذه الأداة في موقد تعلوه شقف فخارية بها بقايا فحم.

لقد عارض G. Camps فكرة إرجاع هذه النصلة الحديدية إلى عصر الحديد دون دليل أثري قاطع. في حين تم اكتشاف ورشات التعدين في مواقع بونية في تونس وخاصة في قرطاجة، إضافة إلى أدوات حديدية كثيرة ومتنوعة كأسلحة وعناصر حلي تم العثور عليها في ثنايا المعالم الجنائزية ببلاد المغرب خاصة في مقبرة بني مسوس[61].

وإذا كانت مظاهر عصر الحديد قريبة الاشتراك مع الثقافات التاريخية والبونية والنوميدية، فقد تم التعرّف عليها في الصحراء الجنوبية، حيث آثار تعدين الحديد القديم.

لقد أثبتت الأبحاث الحديثة في التشاد والنيجر على قرائن مادية لا نقاش فيها، تنتمي إلى مستويين ثقافيين يسميان بالعصر الحديد الأول أو القديم والعصر الحديدي الثاني أو الحديث، حيث تم تأريخ المستوى الأول أي القديم بنحو 550 سنة قبل الميلاد، والتي تستمر إلى غاية 500 سنة بعد الميلاد، حيث تعدّ الأدوات قليلة ونادرة الوجود بضفاف نهر التشاد، أما المستوى الثاني أو الحديث، فتم تأريخه بنحو 250 سنة بعد الميلاد ويستمر إلى غاية 750 سنة لهذا العهد المعروفة تحت اسم الثقافة الحدادية أو كورو طورو[62] (Haddadienne ou Koro Toro). ويتمثل عصر الحديد (المستوى I) في النيجر بموقع تقيديت (Tigidit)، وهناك تأريخات لمواقع أخرى لهضبة ترميت ( Termit) وضفافها تتمثل في 450 سنة قبل الميلاد و670 قبل الميلاد.

تم التعرف في موريتانيا على تعدين الحديد في بعض القرى بالقرب من جرف تشيت (Tichit) تؤرخ في حدود 500 سنة قبل الميلاد[63].

---

[59] E. B., 1997.- Fer (Age du), E. B., t. XVIII, Edisud, Aix En Provence, pp : 2753-2763 .

[60] Debruge A., 1905.- Compte rendu des fouilles faites en 1904, R.N M.S.A.C., Vol. XXXIX, pp: 67-123.

[61] Camps G. 1976. - Nouvelles observations sur l'âge du fer indigène en Afrique du Nord. Colloque sur l'âge du fer en Méditerranée, Ajaccio, pp: 37-48.

[62] Paris F., Person A., Quechon G., 1992. - Les débuts de la métallurgie au Niger septentrional. Journal de la Soc., des Africanistes, t. 62, pp : 55-68.

[63] Quechon G., et Rozet J.P., 1974.- Prospection archéologique du massif de Termit. Cahiers de l'ORSTOM (sciences humaines), t. 11, pp : 85-103.

لقد بيّنت حالة معارف عصر المعادن في بلاد المغرب أنه لا يمكن إبعاد فرضية وجود فترة الكالكوليتي ذو التعدين المحلي خاصة في غرب بلاد المغرب، وهذا في حدود 4500 سنة قبل الحاضر أي في غضون الألفية الرابعة قبل الميلاد.

تم التعرف على عصر البرونز بمرحلتين القديمة والنهائية وهذا من خلال بعض الأدوات المعدنية، التي تم العثور عليها بالصدفة إضافة إلى الأدوات التي تم استخراجها من المعالم الجنائزية.

يستنتج من خلال هذه الأبحاث اتفاق الباحثين على أن أسباب عدم معرفة عصري النحاس والبرونز في بلاد المغرب، يعود بالدرجة الأولى إلى النقص الكبير في المادة والمعلومات بالإضافة إلى نقص الأعمال الميدانية خاصة الحفريات.

وتأكد أن الأسباب الأساسية في عدم التحكم وفهم هذه الفترة يعود بالدرجة الأولى إلى ندرة الأدوات المعدنية وعدم اهتمام الباحثين بمقابر فجر التاريخ ومكنونات تلك المدافن، إضافة إلى انعدام دراسات وأبحاث متخصّصة في المرفقات الجنائزية لفترة فجر التاريخ.

**ملحق الأشكال:**

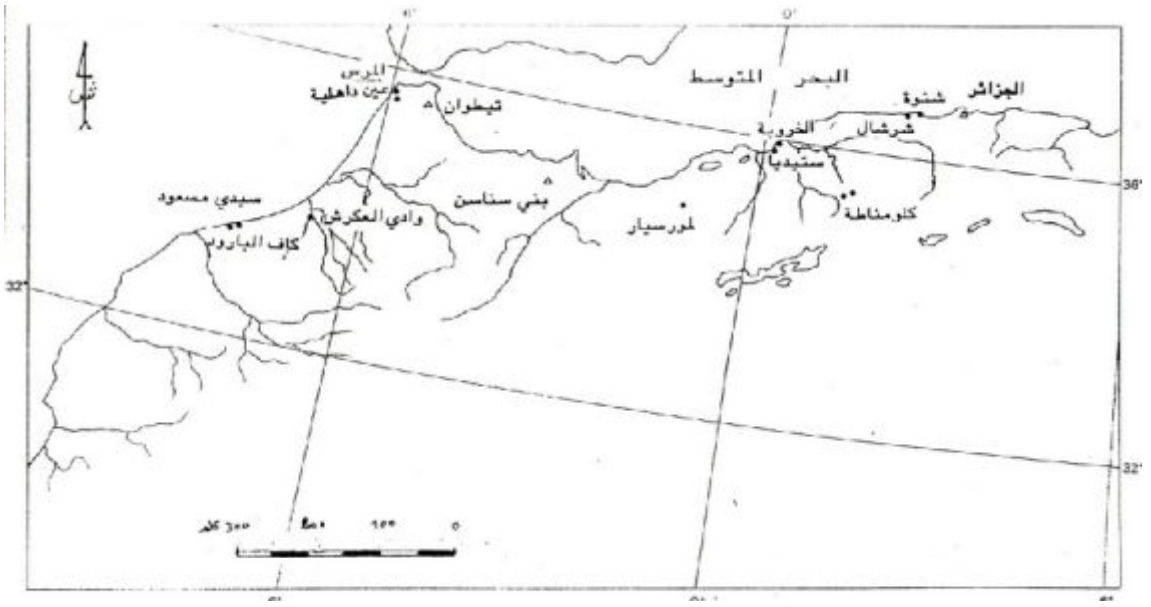


شكل رقم: 1: توزيع مواقع عثور الأسلحة النحاسية و البرونزية ببلاد المغرب
(Camps G. et Cadenat P., 1980. –Op. Cit., , p. 7, pl. VII.)

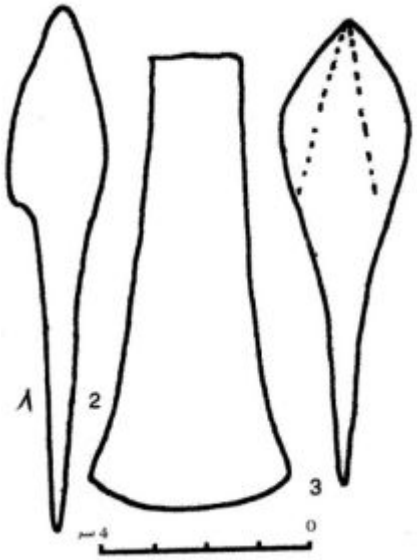


شكل رقم: 3- الأدوات المعدنية المكتشفة بالجزائر والمغرب الأقصى.

1-رأس لموقع الخروبة بمستغانم. 2- فأس لموقع الخروبة بمستغانم، 3- رأس لموقع ستيديا.

(Grébenard D., 1988. - Op. Cit., p. 55)

شكل رقم:2- خنجر لموقع شنوة بمنطقة تيبازة.

(Camps G. et Giot P. R., 1960.- Op. Cit., p. 271)

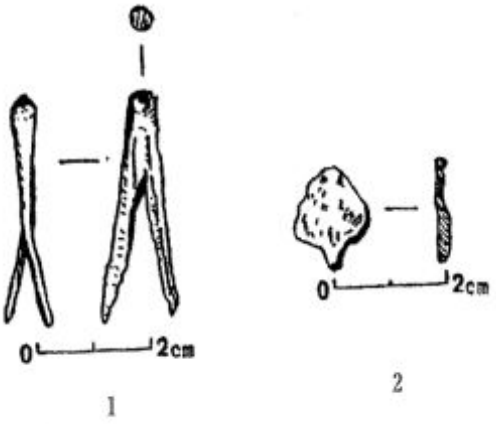


شكل رقم:4- 1. سلاح معدني لموقع عين طوريش بمنطقة تيارت

2. رأس سهم لموقع "La vigne Serrero"

(Cadenat P., 1980.- Op. Cit., p.27 )

شكل رقم:5- فأس ذو شكل مسطح لموقع كلومناطة بمنطقة تيارت

(Cadenat P., 1956.- Op. Cit., p. 284)

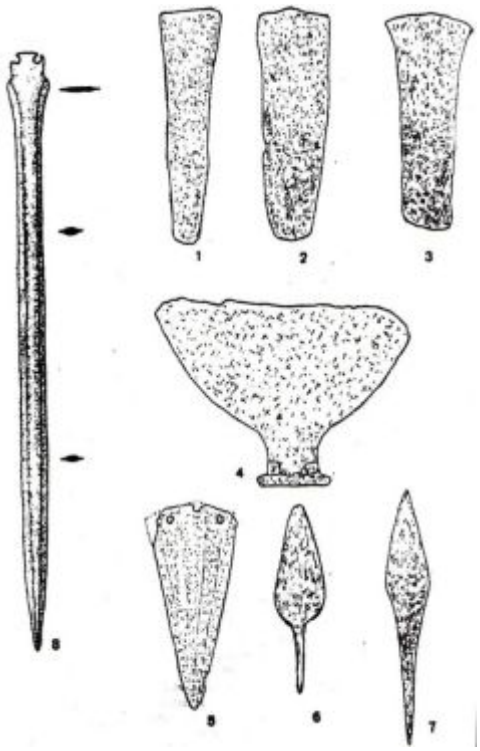

شكل رقم: 6- مختلف الأدوات المكتشفة في غرب بلاد المغرب.

1- فأس موقع وادي عكاريش. 2- فأس موقع كاف البارود. 3- فأس موقع كلومناطة. 4- فأس موقع بني سناس بالمغرب الأقصى. 5- بلطة موقع المريس. 6 - رأس موقع سيدي مسعود. 7- رأس موقع عين دهلية. 8- سيف موقع لاراش.

(Camps G., 1992.- Op. Cit., p. 1615)

شكل رقم: 11- توزيع الفخار الريفي الشكل في أوروبا وبلاد المغرب.



(Lemercier O., 2002.- Op. Cit., p. 22).